السبت 13 فبراير/ شباط 2021 م 1 رجب 1442 هـ ◻ العدد 2357 السنة السابعة
Saturday 13 February 2021

العربي الجديد

هوامش

يتوه الباحث بمتاحف إسطنبول، بعدما خصصت المدينة متحفاً لكلّ شأن، من الآثار إلى الشمع والشوكولاته، لكنّ لمجمع المتاحف التاريخي، الذي تستمر أعمال ترميمه، خصوصيات يتفرد بها

في إسطنبول عدد كبير من المتاحف المفتوحة للزائرين (ولي جرقة/ الأناضول)

مجمع المتاحف

رحلة في حضارات إسطنبول

إسطنبول ـ **عدنان عبد الرزاق**

تركيا ورثت حضارات عدة، تركت لها ثروة كبيرة من الآثار، وبينما تتفاخر البلاد بما تركه الرومان والبيزنطيون ومن كان قبلهم، يغلب الاهتمام بإرث العثمانيين. في هذا الإطار تعتبر الباحثة، هيلال بوردي، أنّ مجمع المتاحف في مدينة إسطنبول، يختصر المراحل، فهو أول متحف افتتح في عهد الدولة العثمانية، ويضم أكثر من مليون قطعة أثرية من مختلف المناطق والحقب التاريخية. تقول إنّ مجمع المتاحف، الذي أقيم على تلة حمدي بك في إسطنبول، يتألف عملياً من ثلاثة متاحف، هي: متحف الآثار الشرقي القديم، والقصر الخزفي، ومتحف الآثار، وهي تشكل معاً مجمعاً ضخماً، أضيف إليه في زمن مشير المدفعية، أحمد فتحي باشا، ما يعرف باسم متحف الدولة الذي يضمّ الأسلحة العتيقة إلى جانب الآثار.

تروي بوردي أنّ كثرة القطع المعثور عليها وزيادة الآثار في المجمع، هي سبب التوسعة، خصوصاً باتجاه القصر الخزفي المفتوح كجزء من المتحف منذ عام 1880، وهو من أقدم قصور إسطنبول، ويعود إلى العهد السلجوقي في منتصف القرن الخامس عشر، وكان يعرف باسم قصر الصيد، ومن مرتاديه قديماً السلطان محمد الفاتح. تشير إلى أنّ اسم تلة حمدي بك، التي يقع عليها المتحف يعود على الأرجح إلى عثمان حمدي بك، وهو أول مدير للمتحف الخزفي عام 1881، ويعود له الفضل بالتنقيب وجمع كثير من موجوداته الباقية حتى اليوم، فهو من بحث بجبل النمرود، وخرائب ميسيا، ومعبد هيكاتي، ونقل تلك الآثار، بما فيها تابوت ملك صيدا، إلى إسطنبول. وبسبب عمل عثمان حمدي بك وجمعه الآثار، ضاق القصر الخزفي، ما استدعى توسعة المتحف وإنشاء مبنى إسطنبول للآثار الحالي الذي صممه المعماري الفرنسي ألكسندر فالوري عام 1889، وجرى افتتاحه رسمياً عام 1891. وكان متحف الآثار بإسطنبول قد أغلق أبوابه لثماني سنوات، منذ عام 2011 ليعاد افتتاح جزء منه عام 2019، ثم في يونيو/ حزيران الماضي، بعد تجربة فريدة بالترميم جرت أمام الزائرين، وما زالت مستمرة بمرحلتها الثالثة، علماً أنّ المجمع استقبل، خلال الترميم نحو 400 ألف زائر.

مدير المتحف، رحمي عسال، يقول إنّ «عمليات الترميم مستمرة، ومنها ترميم لحد الملك الفارسي ساتراب الذي يعود للقرن الخامس عشر، ونقوش ساتراب». وتأذى لحد ساتراب منذ اكتشافه في تركيا عام 1900، إذ بحسب مصادر تركية، جرى في البداية العمل على ترميمه باستخدام مواد معدنية أضرت به وأدت إلى تقطيع أجزاء من حجارته. ويضم المجمع أيضاً حفريات معروفة باسم مقبرة النساء الباكيات. من جهته، يفرّق الباحث، شوكت أقصوي بين مجمع المتاحف بإسطنبول وبين مجمع المتاحف بولاية أضنة الذي افتتح عام 2017 وحمل الاسم نفسه، ليكون ربما من أكبر المتاحف بالشرق الأوسط يمتد على مساحة 12,600 متر مربع، ويقع مكان مصنع نسيج قديم «ملّي منسوجات» عمره أكثر من قرن، وسمي متحف أضنة بـ«مجمع» لأنّه بحسب أقصوي، يضمّ متحفاً زراعياً وآخر صناعياً ومتحفاً إثنوغرافيا ومتحفاً للأطفال وآخر للفسيفساء. ويشير إلى أنّ مجمع متاحف أضنة، لا يقل شهرة لجهة مقتنياته، عن مجمع إسطنبول، ففيه قطع أثرية تعود إلى 18 ألف سنة قبل الميلاد، فضلاً عن تماثيل ومجوهرات وأختام ملكية ومصنوعات خزفية، وبعد اكتمال المجمع بأضنة، سيكون أكبر مجمع للمتاحف في تركيا وربما في المنطقة، نظراً للمساحة الهائلة المرشحة للتوسع، وما يحويه من آثار لها علاقة بتاريخ تركيا الاقتصادي المعاصر، بالإضافة إلى تماثيل وقطع من حضارات ممتدة من الحثيّين حتى اليونانيين، وصولاً إلى يومنا هذا.

يعود أقصوي ليذكر أنّ في إسطنبول عشرات المتاحف المسجلة، ذات الأبواب المفتوحة للزائرين، كما مئات القصور والمباني ودور العبادة القديمة، من أهمها متحف توب كابي الذي كان مقراً لحكم البلاد في زمن السلطنة العثمانية، قبل أن يتحول القصر إلى متحف نادر بحسب المختصين، نظراً لمساحته وتصميمه الفريد ومبانيه المتعددة المرصعة بالرخام والحجر والأرابيسك (الزخرفة) الخشبي. ويأتي متحف آيا صوفيا ضمن أهم متاحف إسطنبول، نظراً لطرازه المعماري النادر، كالقبة الضخمة والنقوش والأيقونات المسيحية. ولا يمكن إغفال قصر دولمة بهشة، الذي يتميّز بتصميم أنيق ينطق بالفخامة، ويضم عدداً كبيراً من القاعات والغرف التي نقشت على جدرانها زخارف عثمانية. وهناك أيضاً متحف بانوراما، والمتحف الإسلامي، وقلعة رومللي حصار، ومتحف إسطنبول للفن الحديث، ومتحف الطيران، ومتحف إسطنبول البحري، ومتحف أتاتورك، ومتحف الألعاب، ومتحف الثلج، ومتحف الشمع، وصولاً إلى متحف الشوكولاته.

باختصار

مجمع المتاحف يتألف من ثلاثة متاحف، هي: متحف الآثار الشرقي القديم، والقصر الخزفي، ومتحف الآثار، وأضيف إليها متحف الدولة

■■■

استقبل مجمع المتاحف خلال فترة الترميم نحو 400 ألف زائر

■■■

في إسطنبول متحف بانوراما، والمتحف الإسلامي، وقلعة رومللي حصار، ومتحف إسطنبول للفن الحديث، ومتحف الطيران، ومتحف إسطنبول البحري، ومتاحف: أتاتورك، والألعاب، والثلج، والشمع، والشوكولاته

وأخيراً

في تأكيد المؤكّد

رشا عمران

أصدر المجلس الإسلامي السوري (المعارض)، قبل أيام، وثيقة حدّد فيها الهوية السورية المفترضة للسوريين. تضمنت خمسة بنود: الإسلام هو دين غالبية السوريين وثقافة جميعهم، وسورية جزء من العالمين الإسلامي والعربي، واللغة العربية هي اللغة الرسمية الوحيدة، والثقافة والقيم الحضارية المعهودة معرّفات أساسية للهوية السورية. والبند الأخير ضمان حقوق المكوّنات الأخرى الموجودة في سورية.

أثارت الوثيقة نقاشاتٍ عديدة إثر إعلانها، تمحورت حول توقيتها وأهميتها، واستدعت ردوداً عنيفة من مؤيدي الوثيقة وواضعيها حملت الاتهام الدائم: «كره الأقليات والملاحدة السوريين الإسلام والمسلمين»، وهي التهمة التي توجه دائماً إلى كل من تسوّل له نفسه الدخول في أي نقاش يتعلق بالإسلام، حتى بنقاش وطنية الجماعات الراديكالية المسلحة التي فتكت بالسوريين في المناطق التي احتلتها، وحاولت تغيير هويتهم الأصلية الإسلامية الشعبية العادية (متوسطة ومتشدّدة أحياناً)، لكنها هوية تعايش معها السوريون بشكل دائم. يقول المدافعون عن الوثيقة إنها موجهة إلى سوريي الثورة الذين انتشروا في بقاع الأرض، خصوصاً وأن هناك محاولات عديدة لطمس «الهوية السورية»، فالسؤال الأساسي الذي يمكن أن تثيره الوثيقة: ما الذي اختلف في بنودها عما كان عليه تعريف الهوية السورية قبل 2011، أي في قمة سيطرة النظام (الطائفي) على سورية، وفي قمة خضوع السوريين له؟ إذ يحوي الدستور السوري ذات التي ذكرتها الوثيقة من دون أي اختلاف، وهو ما اعترضت عليه مراراً الحركات المدنية السورية، وطالبت بتغييره في الدستور، سيما ما يتعلق بحقوق المرأة والطفل، وهي الحقوق التي تندرج ضمن بند «الثقافة والقيم الحضارية المعهودة منذ قرون هي معرفات الهوية السورية». ودائماً كان ذلك يواجَه بالرفض والتعنت الذي يحمل لواءه رجال الدين والمؤسسات الدينية السورية المتحالفة حد التماهي مع النظام السوري، فدار الإفتاء بكل مؤسساتها، والقبيسيات والمشايخ وعلماء الدين، وجميعهم يرون في وثيقة المجلس الإسلامي (المعارض) هوية لسورية، خط الدفاع المدني عن النظام الذي يشيدون بعبقرية رئيسه ورمزيته التي يجب أن تكون خطّاً أحمر، وهم من يعطون مشروعيةً لتحويل السوريين قتلة ومقتولين، عبر الدعاء «للجيش العربي السوري» في المساجد للانتصار على «الكفار الخارجين»، الذين يسميهم المجلس «السوريين الذين يتعرّضون لهجمةٍ طائفيةٍ تستهدف هويتهم الدينية». وهذا ليس سوى دليل على تشابك الوضع السوري وتناقضاته العجيبة التي أوصلت حال السوريين إلى ما هو عليه.

ولا ندري إن كان المجلس الإسلامي السوري الذي أعلن صدور وثيقته «بمناسبة اقتراب العشرية الأولى من الثورة على النظام الطائفي»، يدرك أن بنود الوثيقة هي البنود نفسها التي تعتمدها كل الدول المسلمة بطرفيها، السني والشيعي، حيث يزول الاختلاف بين المذهبين، عندما يمسّ الأمر سلطة الدين التي تكرّسها هذه البنود تماماً، ليتّضح أن الخلاف هو خلاف نفوذ مصالح سياسية واقتصادية. وحتى يما يتعلق بالشأن السوري المحض والثورة وإجرام النظام، أصبحت سردية الطائفية التي يتبادلها الطرفان ممجوجةً ومفضوحة، بعد أن انساقت مؤسسات النظام ومؤسسات المعارضة إلى أجندات دول داعمة، لا تمتّ للوطنية السورية بصلة، بينما يدفع الثمن فقراء السوريين من حياتهم وأرواح أبنائهم ولقمة عيشهم، في داخل سورية وفي المخيمات، حيث يفترض أن يكون الهدف الأول لمؤسسات المعارضة، بما فيها المجلس الإسلامي الذي يدّعي حرصه على السوريين وهويتهم، محاولة إيجاد حلول تنقذ اللاجئين في المخيمات من الذل الذي يعيشونه، وهو أمرٌ أكثر أهمية من إصدار وثائق لا تفعل شيئاً سوى تأكيد المؤكد وتكريسه، وإبقاء السوريين في جو الشحن الطائفي الذي يسير جنباً إلى جنب مع سردية النظام السوري.

> وثائق لا تفعل شيئاً سوى تأكيد المؤكد وتكريسه، وإبقاء السوريين في جو الشحن الطائفي

عن أي عداء يتحدّث هؤلاء؟ أين المحاولات التي تريد تغيير «الهوية السورية»؟ هل يخشون أن ينسى السوريون هويتهم وهم يعيشون في دول العالم الأول، ويتمتعون بحقوقهم، أفراداً قيمتهم في ذواتهم، لا بانتمائهم لمجموع ديني أو مذهبي؟ أم أنهم استشعروا مثلاً بداية حلٍّ ما يلوح في الأفق السوري، ويريدون إثبات وجودهم وإبقاء سلطتهم عبر تكريس المكرّس؟ ثم هل يمكن الحديث عن هوية موحدة وجامعة في بلد محتل من عدة دول، ومفتّت ومنتهك ويعيش مواطنوه في الداخل (بكل مذاهبهم وقومياتهم) بأسوأ ظرف إنساني يمر على البشر؟ ما هذا الترف الذي يعيش فيه هؤلاء المتحدّثون عن الهوية السورية حالياً؟! بعض من الحياء يفيد أحياناً والله.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**